# أنابيب الغاز الطبيعي:

# طريق روسيا إلى المياه الدافئة الأوراسية

## The natural gaz pipelines :russia's way to the eurasian 's warn waters

رؤوف فتيحاني[1]

[1]كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3(الجزائر) newview@live.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/22 تاريخ القبول:2021/06/09 تاريخ النشر: سبتمبر 2021

**الملخص:**

يحاول هذا المقال دراسة كيفية توظيف روسيا للمتغير الطاقوي في جانبه المتعلق بالغاز الطبيعي قصد توسيع نفوذها في المنطقة الأوراسية، خاصة بعد وصول "فلاديمير بوتين" (Vladimir Putin) إلى السلطة سنة 2000، بحيث أصبحت أنابيب الغاز الطبيعي المنطلقة من الأراضي الروسية والمتجهة إلى أوروبا بصفة مكثفة وإلى أقاليم آسيوية أيضًا، بمثابة أداة جيوبوليتيكية أساسية في السياسة الخارجية الروسية، قصد الرفع من مستوى تبعية دول أوروبا –خصوصا– لمادة الغاز الطبيعي الروسي. لكن في الوقت ذاته، تعتبر هذه الخطوط الغازية مفتاحا للاقتراب أكثر من المياه الدافئة التي لطالما سعت روسيا عبرها للولوج إلى مناطق بعيدة جغرافيا عنها من جهة، وإلى خلق منافذ مهمة تطل على أوروبا ومناطق آسيوية وحتى إفريقية من جهة أخرى، فأغلب المسطحات المائية التي تقابل روسيا الاتحادية هي ضمن المياه الباردة والمتجمدة، والتي تتميز بانعزالها عن رقعات جغرافية ذات أهمية جيوبوليتيكية بالنسبة لدولة تعمل منذ سنوات بعيدة على فرض تواجدها إقليميا ودوليا.

**الكلمات المفتاحية:** فلاديمير بوتين، أنابيب الغاز الطبيعي، المياه الدافئة، أوراسيا، جيوبوليتيك، السيل الشمالي، السيل الجنوبي، السيل التركي، قوة سيبيريا.

## Abstract :

This article is an attempt to figure out how Russia has used the energy factor in particular natural gas to extend its influence in Eurasia area notably when Vladimir Putin came to the power in 2000. The natural gas pipelines started from the Russian land toward Europe and Asian territories as well is an essential geopolitical tool in Russian foreign policy to raise the dependency level of Europe to the Russian natural gas. Nevertheless, these gas pipelines are sees as a key to reach the warm waters that Russia had all the time sought to penetrate into far geographic regions and creating important access that overlooks on European, Asian and African regions. Most of the water bodies which are in front of Russian Federation are belonging to the cold and frozen waters which are isolated from lands, geopolitically important for a state seeking over the time to impose its presence both in the region and the world.

**Keys words :** Vladimir Putin, the natural gas pipelines, warm waters, Eurasia, geopolitics, nord stream, south stream, turk stream, power of Siberia.



المؤلف المرسل: رؤوف فتيحاني ، الإيميل newview@live.fr

**مقدّمة:**

تسعى روسيا منذ القدم إلى السيطرة على أوراسيا، لما يكتسيه هذا الإقليم من أهمية بالغة حسب رواد نظريات الجيوبوليتيك، ويبقى التاريخ شاهدًا على تلك المحاولات التي قامت بها روسيا من أجل التموقع أكثر في المنطقة وتوسيع نفوذها هناك، خاصة من حيث تقليص المسافات بين أراضيها والمياه الدافئة الإقليمية، لكن الوسائل المعتمدة من أجل تحقيق هذا الهدف قد تختلف من حقبة لأخرى وفقا لعدة متغيرات، ووضع النظامين الإقليمي والدولي.

فبعد نهاية عهد الاتحاد السوفيتي ظهر جليا ذلك التحوّل في النظرة الجيوبوليتيكية، وأضحت الطاقة عنصرا محوريا في السياسة الخارجية الروسية، خاصة في ما تعلق بالغاز الطبيعي بجعله ضمن أولويات الأجندة الروسية الخارجية، وإعطائه صبغة سياسية، كأداة جيوبوليتيكية تمكّن روسيا من التواجد في مناطق بعيدة عن حدودها، زد على ذلك، إمكانية جعل هذه الخطوط الغازية كأدوات لتجميع أجزاء الاتحاد السوفيتي (سابقا)، من خلال بسط السيطرة على أقاليم محاذية.

كما أنّ المسطحات المائية الدافئة القريبة من الأراضي الروسية تبقى مهمة، كونها تمثل منافذ نحو أقاليم ذات أهمية جيواستراتيجية خاصة في الرقعة الأوراسية، ما قد يمنح روسيا تفوقا من خلال إيجاد مناطق للتموقع من جهة، وكذلك خلق فرص أكثر لفرض منتجاتها الطاقوية في السوق الطاقة بأوروبا من جهة أخرى. بالإضافة إلى رفع مستوى تنافسيتها مع القوى العالمية التي تسعى إلى التواجد باستمرار في أوراسيا.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى معرفة: **كيف توظف روسيا خطوط أنابيب الغاز الطبيعي كآلية للتموقع والسيطرة على أجزاء أوراسية خاصة الجزء المائي الدافئ؟**

وعليه يمكن طرح الفرضيتين الآتيتين:

– كلّما مدّت روسيا أنابيب الغاز الطبيعي عبر الجزء البحري كلّما زاد تحكّمها بالمنافذ البحرية في أوراسيا.

– تزايد عدد الخطوط الغازية لروسيا هو مؤشر على ذلك الإدراك بنجاعة الأدوات الاقتصادية أكثر من العسكرية في توسيع مجال نفوذها.

ولمعالجة الموضوع يجب دراسة نقاط أساسية، من خلال ذكر أهم الشواهد التاريخية للمساعي الروسية للتواجد بالمياه الدافئة بأوراسيا، بالاعتماد على المنهج التاريخي لسرد الأحداث ودراسة السياق الذي رافق تطورها، بالإضافة إلى عرض أبرز النظريات والأفكار الجيوبويتيكية التي تعتمدها الإستراتيجية الروسية، مع تحليل الخلفيات الجيواستراتيجية لأهم المشاريع الروسية في مجال إنشاء الخطوط الغازية في عهد الرئيس "فلاديمير بوتين"، والتي تربط روسيا بأوروبا وآسيا، قصد إبراز الرؤية الشاملة لروسيا في أوراسيا.

## 1- المرجعية الجيوبوليتيكية للتصور الروسي:

يعرض هذا الجزء من المقال أبرز المحطات التاريخية لروسيا من خلال سعيها للوصول إلى المياه الدافئة، كما أنّ الإستراتيجية المتبعة لها خلفية نظرية منحت الأرضية اللّازمة لإيجاد البدائل الناجعة للتواجد بالمياه الدافئة الأوراسية.

### 1.1- شواهد تاريخية:

اهتمام روسيا بالمجال البحري ليس وليد الحاضر، بل عرف محطات تاريخية مقترنة بالسياق الإقليمي والمعطيات الجديدة في البيئة الدولية بشكل عام. إلّا أنّ صنّاع القرار في روسيا كانت تواجههم في كل مرّة معضلة جغرافية، فطول سواحل هذه الدولة خاصة من الجهة الشمالية تقابلها المياه المتجمدة للقطب الشمالي[1]، أي أنّ هذه الدولة الكبيرة من الناحية الجغرافية تعاني من حصار جليدي في الجزء المائي، ما قد يجعلها مصنّفة ضمن الدول الحبيسة رغم أنّ لها منفذًا بحريا.

ولهذا السبب، عرفت هذه الدولة عدة محاولات من أجل تجاوز هذا الحاجز الجغرافي، بحيث عمل الروس في القرن 17م في عهد "بيير الأكبر" (Pierre le Grand)، على فرض وجودهم في البلطيق من خلال صدام مع السويديين. وبعدها في القرن 18م، عملت الإمبراطورة "كاترين الثانية" (Catherine II) على التقدّم نحو مياه البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط حيث تواجدت السيادة العثمانية على تلك الأقاليم.[2]

لم تكتف روسيا بالتوجه نحو الأقاليم الأوروبية، بل سعت إلى التواجد أكثر في القارة الآسيوية، ففي القرن 19م، تمكّنت من فرض وجودها في إقليم فلاديفوستوك ما يمنحها منفذًا إلى المحيط الهادي، إلا أنّ روسيا لم تتمكّن من الوصول إلى المحيط الهندي بسبب العرقلة البريطانية لها.[3]

تبرز الخريطة التالية مدى اتساع الساحل الروسي المطل على القطب الشمالي وقربه منه، ما يجعل هذه الدولة قريبة من المنطقة المتجمدة بشكل كلي.

**الخريطة رقم 01: الساحل الروسي المطل على القطب الشمالي**

**المصدر: ستيفاني بيزارد وآخرون (2017)، الحفاظ على التعاون القطبي الشمالي مع روسيا، كاليفورنيا: مؤسسة البحث والتنمية (RAND)، ص. 03.**

وعليه يتضح أنّه تاريخيا هناك مساعٍ روسية لإيجاد بدائل حقيقية تسمح لها بالتموقع أكثر بالقرب من المياه الدافئة، وهذا حتى تكون قريبة من النقاط الجيوبوليتيكية المهمة التي تستفيد من مزاياها سواء العسكرية وحتى الاقتصادية، بحيث يؤكد الباحثون في الأهمية الجغرافية لروسيا كيف أنّ هذه الأخيرة كانت تعتمد على قوتها البحرية لمساندة عملياتها العسكرية البرية على الأراضي الأوروبية،[4]ما يفتح المجال للقول أنّ الجانب العسكري كان يعتبر المحفز الأوّل لتطوير القدرات الحربية السوفيتية على المستوى البحري، رغم أنّ موقع الاتحاد السوفيتي لا يناسب كثيرًا فكرة الاعتماد على العقيدة البحرية. زد على ذلك التفوق الأمريكي في هذا المجال، أي أنّه في تلك الحقبة كان هناك تأكيد على ريـــادة أمريكا بحريا.[5]

لكن انتهاء العهد السوفيتي وتحوّل هذه الدولة إلى روسيا الاتحادية لم يغيّر شيئا، بل أدّى هذا الوضع الجديد إلى الإغلاق أكثر على هذه الدولة، بحيث بقيت المنافذ محدودة لروسيا –رغم شساعة مساحتها– إلى المياه الدافئة، رغم وجود فرضية استفادة روسيا من ظاهرة الاحتباس الحراري التي تسبب ذوبان الكتل الجليدية خاصة في الجزء الشمالي الشرقي لروسيا ما قد يحرّرها جغرافيا.[6]

إلا أنّ هناك مساعٍ أمريكية لمنع وصول روسيا إلى المياه الدافئة في المنطقة الأوراسية، بحيث يتم تشكيل أحلاف عسكرية تعمل على خلق حواجز تعيق من التوسع الروسي في الإقليم، خاصة في ما تعلق بالتوجه نحو غرب أوروبا.[7]

كما أنّ روسيا لم تكتف فقط باهتمامها بالبحار الدافئة وإنّما جعلت من المضايق طريقا لها، فالبوسفور والدردنيل التابعين لتركيا يلقيان اهتمامًا كبيرًا من قبل الكرملين، بحيث يعتبران مفتاحان مهمان للإستراتيجية الروسية في المنطقة[8]، فالمضيقان يسمحان بالانتقال بسرعة من مياه البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط، ما يجعل روسيا قريبة جدّا من شمال إفريقيا وجنوب أوروبا.

بالتالي يتضح من خلال هذا العرض ذو البعد التاريخي لأهم المحاولات الروسية للاقتراب قدر المستطاع من المياه الدافئة وما قابله من عراقيل جيوبوليتيكية في أوراسيا، أنّ طول الساحل الشمالي لروسيا لم يقدّم لها الكثير بل كان عبئا جغرافيا لم تتمكّن من تجاوزه بسهولة، كما أنّ صنّاع القرار بالكرملين مدركون بأنّ المياه الدافئة تعتبر متغيّرًا أساسيا في التحكّم الفعلي بالرقعة الأوراسية كون هذه المياه تتميز بحركية بحْرية نشطة، بالإضافة إلى اختصار المسافة عند نقل الطاقة ومختلف السلع. زد على ذلك، أنّ تطوير الأسطول الحربي قد لا يأتي بنتائج كبيرة في كل الحالات، ولهذا أصبحت هناك ضرورة ملحّة لكي تجد روسيا أدوات جديدة لفك عقدة الدولة الحبيسة – رغم توفرها على ساحل واسع – لا تجعل منها دولة مستعمِرة.

**2.1- إسهامات نظرية:**

يسمح هذا العنصر من البحث بإظهار مدى أهمية مختلف النظريات الجيوبوليتيكية في بلورة تصور روسي لما يحيط به في المنطقة الأوراسية، بحيث تتمحور هذه الأفكار أساسًا على مكانة الإقليم بالنسبة للقوى الإقليمية والدولية معًا. كما أنّ هذه التيارات التنظيرية وإن اختلفت من حيث أصولها إلّا أنّها مثّلت لروسيا مرجعية مهمة لفهم البيئة الأوراسية، وكانت بمثابة منطلقا لبلورة الإستراتيجية الروسية الحديثة في أوراسيا.

يمكن اعتبار نظرية البريطاني "هالفورد ماكيندر" (Halford Mackinder) المتعلقة بقلب العالم (Heartland) إحدى أهم الأطر النظرية التي وضعت في مجال الجيوبوليتيك مطلع القرن 20م، بحيث تؤكّد نظريته على أهمية التحكّم في شرق أوروبا لأنّها الطريق إلى السيطرة على القلب، ومن ثمّة يتم التحكّم في أوراسيا التي تعتبر مفتاحًا للهيمنة على العالم كله.[9]

تستند الإستراتيجية الروسية – الرامية إلى التموقع أكثر على حواف المياه الدافئة- على فكرة "ماكيندر" التي تؤكد على أنّ قلب العالم له منطقة تحيط به على شكل هلال داخلي ( Inner or marginal crescent)، هذه المنطقة بالذات يعتبرها هذا الخبير الجيبوليتيكي بأنّها منطقة تتجمع فيها أعداد كبيرة من السكان، وهي قريبة جدّا من المسطحات المائية.[10] لهذا سعت روسيا إلى عدم الاكتفاء بقلب العالم لأنّ هناك إدراكًا بأهمية المناطق المحاذية للمركز كونها الأكثر ديناميكية عبر كل مراحل التاريخ، بحيث هناك قوى مضادة –حسب "ماكيندر"- تنطلق من الهلال الخارجي أو الجزيري ( Outer or insular crescent)، الذي يعتبر ضمن المناطق البعيدة نسبيا عن قلب العالم، بحيث يضع "ماكيندر" تصورًا يقضي بإلزامية التحكّم أكثر في الامتدادات الشاطئية لأوراسيا وجعلها تحت سيطرة قوى

الهلال الخارجي،[11] وعليه بتعبير آخر حصر روسيا أكثر في رقعتها واكتفائها بالبحار المتجمّدة التي تطل عليها من الشمال، ومن ثمّة إضعاف روسيا كمحور جغرافي للتاريخ.

تبرز الخريطة الآتية تقسيم الأقاليم وفقا لنظرية "ماكيندر" التي عرض مضمونها في المجلة الجغرافية في أفريل 1904، انطلاقا من أهمية كل منطقة من الناحية الجيوبوليتيكية.[12]

**الخريطة رقم 02: تقسيم الأقاليم حسب نظرية "ماكيندر"**

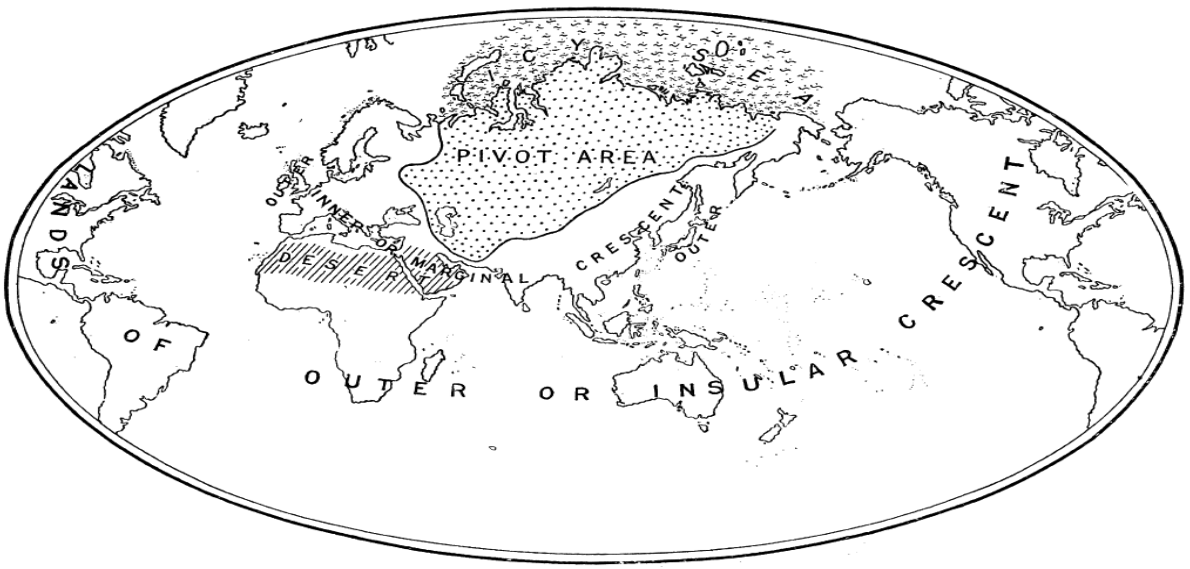


**المصدر:**

**Gearóid ÓTuathail and others(2003), the geopolitics reader, London: Routledge, P. 31.**

إلا أنّ خبير الجيوبوليتيك الأمريكي "نيكولاس سبيكمان" (Nicholas Spykman) يعطي أهمية أكثر للمناطق الشاطئية (Rimland) التي تقع أساسًا في الهلال الداخلي، بحيث يمثل هذا الجزء من العالم منطقة صراع بين القوى البرية والبحرية،[13]ومن ثمّة ستعمل القوى البحرية على إيقاف وصدّ أي محاولة تقوم بها القوى البرية لتطوير قدراتها.[14]بالتالي روسيا هي المستهدف الأوّل من هذه الإستراتيجية، بحيث أدركت مراكز صنع القرار في الكرملين أنّ الوصول إلى المياه الدافئة يعتبر وسيلة أساسية لتعاظم قوتها إقليميا وعالميا، وكذلك أداة فعّالة لتقويض تحرّك قوى أخرى في المنطقة الأوراسية.

لم يختلف طرح الأمريكي "زبغنيو بريجنسكي" (Zbigniew Brzezinski) عن سلفه في إبراز أهمية أوراسيا بالنسبة لأهم القوى الدولية، ففي كتابه المعنون بـ " رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية"، الصادر سنة 1997، أكد "بريجنسكي" أنّ هناك محاور جيوبوليتيكية لها أهمية من حيث موقعها، بحيث تعتبر بوابة نحو مناطق مفتاحية للاعبين جيواستراتيجيين للتموقع إقليميا ودوليا.[15]

وقد اعتبر "بريجنسكي" كل من أوكرانيا، أذربيجان، كوريا الجنوبية، تركيا وإيران محاور جيوبوليتيكية، في حين صنّف روسيا في خانة اللاعبين الجيواستراتيجيين رفقة فرنسا، ألمانيا، الصين والهند.[16]

يمنح هذا التصنيف رؤية واضحة حول الأهمية الجيوبوليتيكية لهذه المحاور الأوراسية بالنسبة لروسيا، خاصة أوكرانيا كبوابة إلى شرق أوروبا وساحلها المطل على البحر الأسود، أذربيجان كإحدى دول القوقاز المطلة على بحر قزوين، تركيا كبوابة نحو البحر الأبيض المتوسط وأيضًا إطلالها على البحر الأسود، وعليه مساعي روسيا للتواجد أو على الأقل الاقتراب قدر المستطاع من هذه الأقاليم الدافئة لن يتأتى إلّا بإتباع إستراتيجية تُبنى على أساس خصوصية كل دولة.

لهذا السبب يؤكد الخبير الجيوبوليتيكي الروسي "ألكسندر دوغين" (Alexander Dugin) في كتابه الذي صدر سنتين بعد كتاب "بريجنسكي"، والمعنون بـ "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، أنّه كلّما سيطرت روسيا على القوقاز كلّما اقتربت أكثر من المياه الدافئة. كما أنّ روسيا التي تمثل قلب العالم –حسب دوغين– لطالما تصارعت مع دول من الامتداد الشاطئي (Rimland) المتكوّن أساسًا من تركيا وإيران، وكانت المنطقة القوقازية حلبة لهذا الصراع.[17]

فتصور "دوغين" يقوم أساسًا على ضرورة سعي روسيا لأن تصبح "مكتملة من الناحية الجيوبوليتيكية" من خلال الاقتراب أكثر من المياه الدافئة في الجنوب والغرب، وهذا في إطار ما سمّاها بعملية "تجميع الإمبراطورية" التي تجابه عرقلة وممانعة بريطانية، التي تسعى بدورها إلى السيطرة أكثر على منطقة الحواف الشاطئية.[18]

يتضح من خلال واقع السياسية الإقليمية المنتهجة من قبل روسيا، أنّ هذه التيارات الفكرية كان لها الأثر في صقل مخرجات مراكز صنع القرار بالاتحاد الفيدرالي الروسي، خاصة في ما تعلق بمسألة كيفية التموقع في أوراسيا وتوسيع النفوذ بها، لهذا يقدّم خبير الجيوبوليتيك الروسي "دوغين" بدائل عن تلك الصدامات العسكرية التي عرفتها المنطقة عبر مراحل مختلفة من تاريخها، وأبرز هذه الحلول، هو التحالف بين قوى المنطقة، بالتحديد بين القلب الذي تمثّله روسيا ودول الامتداد الشاطئي، وهذا لتحقيق غايتين أساسيتين، أوّلها فتح الطريق نحو المياه الدافئة، وثانيها إبعاد أي قوة معادية قادمة من الهلال الجزيري.[19]

## 2- الخطوط الغازية كأداة للتموقع بأوراسيا:

يعالج هذا الجزء الثاني من الدراسة خلفيات أهم مشاريع خطوط أنابيب الغاز الطبيعي، وكيف توظف روسيا هذا المتغير الأساسي في توسيع نفوذها بأوراسيا، وجعلها على مشارف البحار الدافئة سواء باتجاه أوروبا أو نحو آسيا.

### 1.2- أهم المشاريع الغازية بأوروبا:

تمنح دراسة أبرز مشاريع أنابيب الغاز الطبيعي المتّجهة نحو أوروبا والتي تمّ التخطيط لها في العشرين سنة الأخيرة -أي في عهد حكم "بوتين"- إمكانية التأكيد على نجاعة هذه الإستراتيجية بهدف وصول روسيا إلى المياه الدافئة، بحيث تبرز الخريطة الآتية مدى تعدّد الخطوط الغازية المنطلقة من الأراضي الروسية والمنتهية في أراضي دول أوروبية، ومن ثمّة هناك تركيز على الجهة الغربية لروسيا حيث توجد البحار الدافئة بشكل كبير.

**الخريطة رقم 03: شبكة خطوط أنابيب الغاز الطبيعي بأوراسيا**

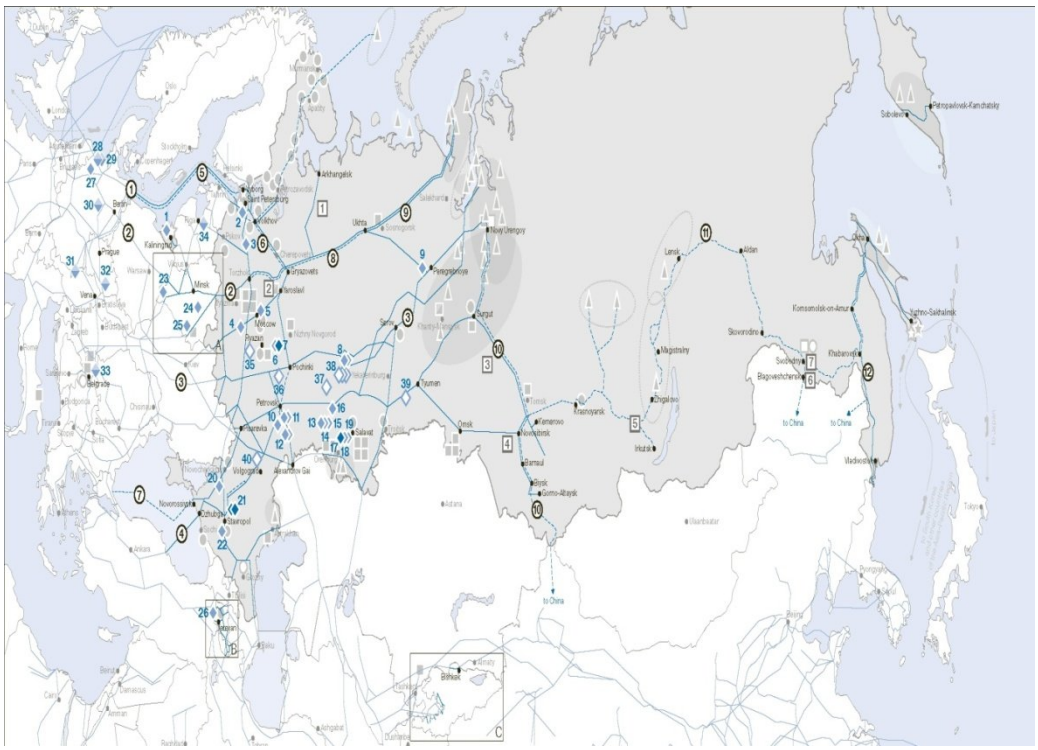

**المصدر: تقرير شركة غازبروم، ديسمبر 2017، ص ص. 44، 45.**

يتضح من خلال الخريطة رقم 03 كيف أنّ روسيا ينصب اهتمامها على تدعيم تواجدها في الجهة الغربية للفيدرالية أي شرق أوروبا، وعليه يعمل الرئيس الروسي "بوتين" على تدعيم إنشاء خطوط لأنابيب الغاز الطبيعي تنطلق من روسيا إلى أوروبا بالاعتماد على ممرات برية وبحرية.

وبما أنّ هذه الدراسة تنصب أساسًا على إبراز أهمية الأجزاء المائية بالنسبة للإستراتيجية الروسية بأوراسيا، فإنّه تم اختيار مشروعي السيل الشمالي (Nord stream) والسيل التركي (Turk stream) كأهم الخطوط الغازية التي تعمل روسيا على دعم إنشائها وضخ فيها غاز طبيعي روسي يعبر المياه الدافئة باتجاه دول أوروبا.

تبرز الخريطة الآتية مسار أنبوب الغاز الطبيعي السيل الشمالي 1و2، باتجاه ألمانيا عبر بحر البلطيق.

**الخريطة رقم 04: السيل الشمالي 1 وَ2**

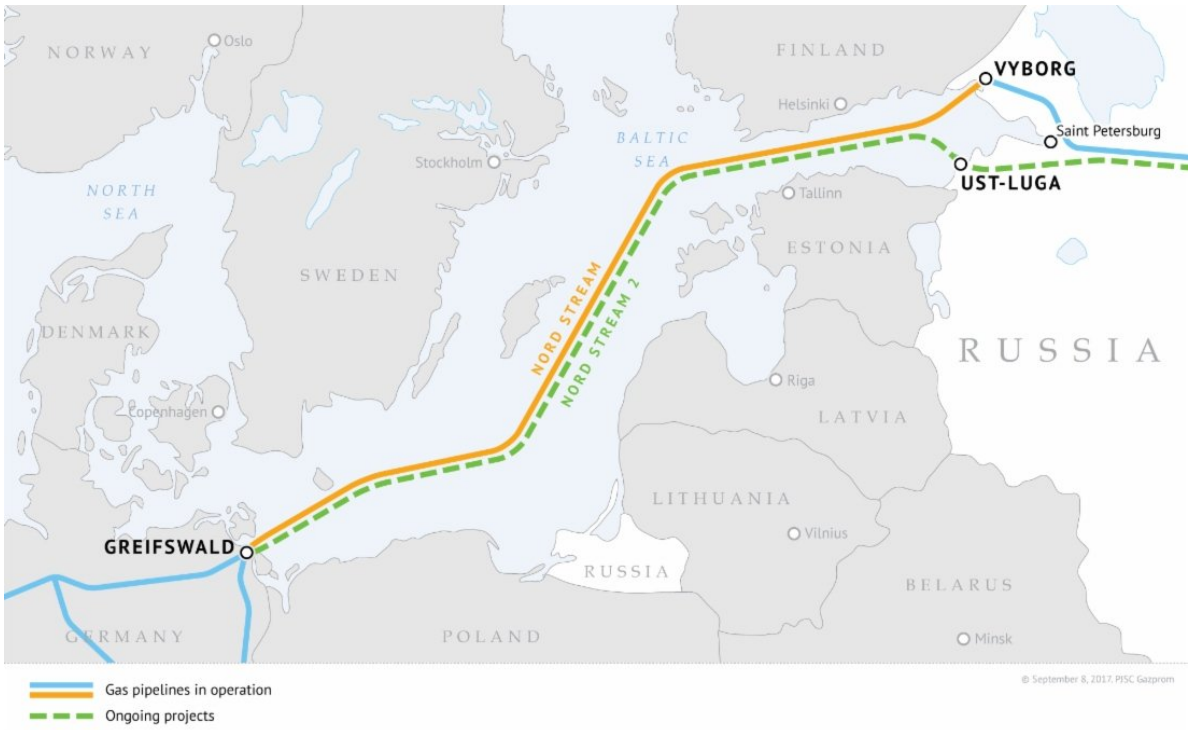


**المصدر: موقع شركة غازبروم (gazprom.com)، سبتمبر 2017.**

يظهر من خلال هذه الخريطة أنّ خط السيل الشمالي ينطلق من الأراضي الروسية مباشرة إلى ألمانيا عبر بحر البلطيق، أي لا يجتاز أي جزء بري من مساره، وعليه فروسيا تعمل منذ نوفمبر 2011 (تاريخ بداية الضخ المرحلي) [20] على تدعيم هذا الخط الغازي الذي يفتح لروسيا منفذا إلى بحر البلطيق نحو دول أوروبا، بحيث يصل طوله إلى 1224 كلم، بقدرة ضخ 55 بليون مليار م3 سنويا.[21]

أما مشروع الخط الثاني أي السيل الشمالي 2، فهو أداة طاقوية أخرى تعمل روسيا على تدعيم وجوده في بحر البلطيق، وأيضًا توطيد علاقتها بألمانيا كزبون أوروبي مهم،[22]بحيث كانت بدايات المشروع في أفريل 2017، بسعة تصل إلى 55 بليون م3 سنويا.[23]

بالتالي يتضح جليا كيف تعمل روسيا من خلال خطين للغاز الطبيعي يصلان إلى اليابسة الأوروبية عبر الأراضي الألمانية على تأكيد فرضية أنّ روسيا لا تسعى فقط إلى تكريس تواجدها في سوق الطاقة الأوروبية، وإنّما إلى كسر كل الحواجز الجيوبوليتيكية المعرقلة لولوجها إلى المياه الدافئة، فكان بحر البلطيق هدفًا مهما في مشروع السيل الشمالي 1 و2.

إلا أنّ هذا المشروع الطاقوي لم يكن وحده أداة حتى تقترب روسيا من المياه الدافئة، فكانت الوجهة

أيضًا نحو جنوب شرق أوروبا عبر البحر الأسود، من خلال مشروع السيل التركي، بحيث يتجنّب الخط أي أراضٍ تابعة لأي دولة في المنطقة.

**الخريطة رقم 05: السيل التركي (روسيا – تركيا)**

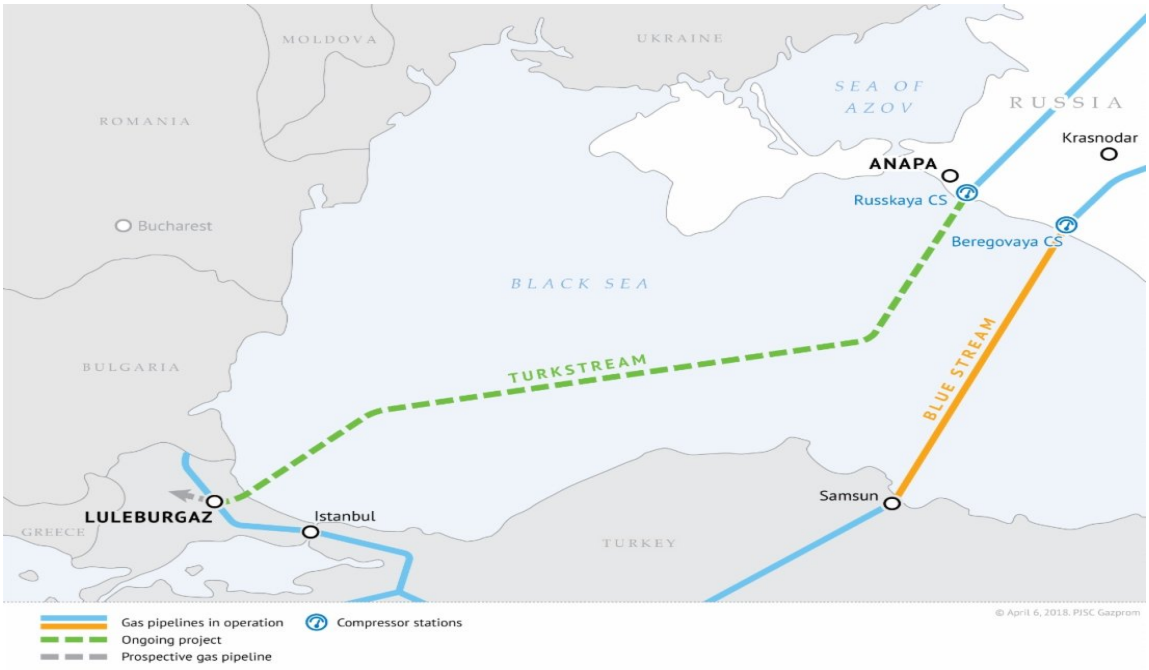


**المصدر: موقع شركة غازبروم (gazprom.com)، أفريل 2018.**

يتضح من خلال الخريطة رقم 05 أنّ روسيا تسعى إلى فرض وجودها في البحر الأسود من خلال خطوط أنابيب الغاز الطبيعي التي تمدّها عبر هذا الجزء المائي الدافئ، فالسيل الأزرق (Blue stream) الذي يربطها بتركيا دعمته بمشروع ثاني (السيل التركي)، هو كذلك يمر عبر مياه البحر الأسود متجهًا إلى الأراضي التركية بطول يتجاوز 930 كلم، بقدرة ضخ تصل إلى 31,5 بليون م3 مكعب سنويا، علمًا أنّ الشروع في مدّ الأنابيب عبر البحر الأسود كان في ماي 2017، ليدخل حيز التنفيذ في جانفي 2020.[24]

كما أنّ مشروع السيل التركي أتى على خلفية إلغاء تنفيذ مشروع السيل الجنوبي (South stream) نهاية 2014، وهذا بعد انسداد سبل الاتفاق بين روسيا وبلغاريا،[25] ما يؤكد مرة أخرى حرص روسيا على إبقاء تواجدها في مياه البحر الأسود، وجعله منفذًا إلى أوروبا من الجهة الجنوبية عبر تركيا التي لا تنتمي إلى الاتحاد الأوروبي.

وبناءً على ما تمّ ذكره من خلال عرض المشروعين الطاقويين، فإنّ روسيا تعمل بجدية على إيجاد منافذ نحو المياه الدافئة القريبة من أوروبا، لإدراكها بأنّ المناطق المجاورة لقلب العالم (أوراسيا) هي نقاط

مفتاحية لتوسيع النفوذ إقليميا وعالميا، وأيضًا كوسيلة هجومية ضد أي محاولات أمريكية وأوروبية تمس مصالح روسيا الجيوبوليتيكية في أوراسيا. ومن ثمّة جعل أنابيب الغاز الطبيعي كبديل عن أي خيار عسكري بالمنطقة، لما له من أبعاد مختلفة تمس الجانبين الاقتصادي والطاقوي في العلاقات الروسية الأوروبية، ويحقق لها مصلحة جيوبوليتيكية بشكل براغماتي من خلال التواجد في مياه دافئة مع ضمان تعميق التبعية الطاقوية التي تعاني منها دول الاتحاد الأوروبي.

### 2.2- مشروع "قوة سيبيريا":

الاهتمام الروسي بسوق الطاقة الأوروبية لا يعني إهمالًا للشق الآسيوي، بحيث هناك تصورًا روسيًا من أجل فرض وجود في مناطق متقدّمة من الجهة الشرقية للفيدرالية، وهذا قصد فتح مجال واسع للاقتراب أكثر من المياه الآسيوية الدافئة، فيصبح لروسيا نافذتين (شرقية وغربية) قد تقلل من مشكلة الجهة الشمالية المتجمّدة.

ولهذا يعتبر مشروع أنبوب الغاز الطبيعي المسمّى بـ "قوة سيبيريا" (Power of Siberia)، عصبًا طاقويا يربط بين روسيا والصين في الجزء البري، والذي يصل طوله إلى 3000 كلم، بقدرة ضخ تقدر بـ 38 بليون م3 سنويا.[26]

ويمكن اعتبار الاتفاق المبرم بين روسيا والصين في ماي 2014،[27]بمثابة خطوة استباقية لأي تحرّك أوروبي وأمريكي بعد عملية ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في مارس 2014، فأي تفكير بالضغط على الجانب الروسي باستعمال أداة الطاقة، لن يؤثر بالشكل الذي تريده دول الاتحاد الأوروبي، لأنّ روسيا جعلت الصين كبديل لأي تضييق على حصتها للغاز الطبيعي في أوروبا.

كما أنّ العقد المبرم بين موسكو وبكين تصل مدّته إلى 30 سنة، بعدما تقرّر ضخ أولى الكميات عبر الأنبوب بداية ديسمبر 2019،[28] وعليه تبرز أهمية هذا الأنبوب في تأمين تصدير الغاز الطبيعي إلى دولة فاعلة في آسيا، مع خلق فرص للاقتراب أكثر من المياه الدافئة في شرق القارة.

تبرز الخريطة الآتية مسار خط "قوة سيبيريا" الذي ينطلق من جنوب شرق روسيا وصولًا إلى الأراضي الصينية في الجهة الشمالية الشرقية.

**الخريطة رقم 06: مشروع الخط الغازي "قوة سيبيريا"**

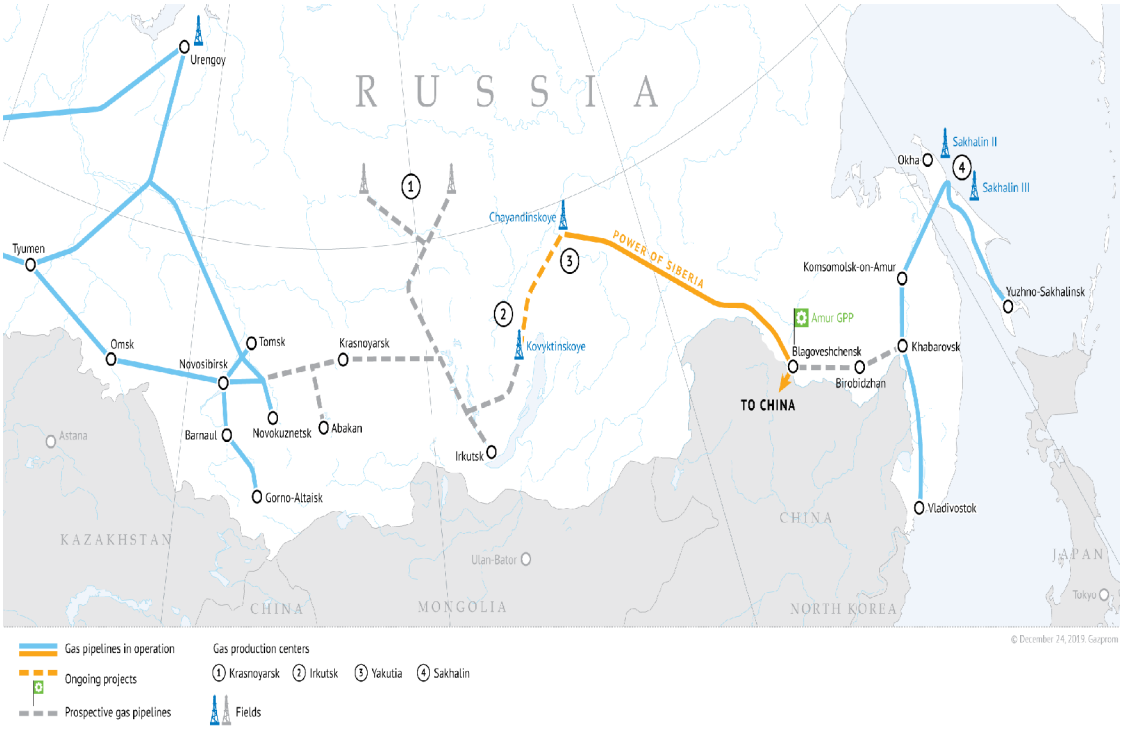


**المصدر: موقع شركة غازبروم (gazprom.com)، ديسمبر 2019.**

تبرز هذه الخريطة كيف أنّ خط "قوة سيبيريا" له امتدادات تصل به إلى غاية فلاديفوستوك المطلة على بحر اليابان، ما يؤكد مرة أخرى المساعي الروسية للتموقع في البحار الآسيوية من أجل إيجاد منفذ من الجهة الشرقية للدولة.

يظهر جوهر التصور الواقعي لروسيا في التواجد عبر مختلف المنافذ البرية القريبة من المسطحات المائية الدافئة، من خلال إطلاق مشاريع طاقوية (الغاز الطبيعي) تهدف أساسًا إلى وضع حجة للتموقع الروسي في تلك المناطق، بحيث تعتبر هذه المشاريع وسيلة لتحقيق غاية أبعد، فحسب أحد رواد التيار الواقعي"أرنولد ولفرز" (Arnold Wolfers)، أنّ القوة ليست هدفًا بقدر ما هي وسيلة لتحقيق غايات أسمى.[29]بالتالي لا تسعى روسيا لتوسيع حصتها من سوق الطاقة الآسيوية فقط بل إنّ تلك المشاريع الطاقوية ما هي إلا أداة لجعلها أكثر قربًا من المياه الدافئة، خاصة في حال عرقلة توسّعها من الجهة الغربية القريبة من أوروبا.

كما أنّ روسيا واستنادًا إلى التصور الواقعي لـ"ولفرز" تسعى إلى إيجاد أقاليم نفوذ خارجية تمنحها ميزة التفوق على باقي القوى الدولية،[30] فهذه المياه الدافئة التي قد تصل إليها روسيا عبر الأراضي الآسيوية تعتبر بحدّ ذاتها مناطق تمنحها تفوّقًا بحريا على بقية منافسيها بأوراسيا.

ومن جهة أخرى، لا يمكن تجاهل تقارب المصالح بين روسيا والصين الذي كان له الأثر

في مجريات المسألة السورية منذ 2011، هذا التقارب الذي لا يناسب أوروبا ومعها أمريكا، كون أنّ أهمية سوريا تكمن في موقعها الإستراتيجي الذي يعتبر مفتاحًا لنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا،[31] باعتبار أنّ سوريا دولة تطل على البحر المتوسط أي قريبة من أوروبا جنوبًا، وهي أيضًا في منطقة شرق الأوسط أي في عمق نقاط تواجد الموارد الطاقوية.

فضمان إمداد روسيا للغاز الطبيعي للصين له عدة أبعاد، بحيث تهم المصلحة الطاقوية لبكين، وتدخل ضمن الإستراتيجية الروسية للحدّ من التحرّك الأمريكي في أوراسيا من خلال التواجد في خطوط متقدّمة قريبة من المياه الدافئة.

وعليه فالصين هي فضاء جيوبوليتيكي له أهمية بالغة لروسيا من أجل التموقع أكثر في المنطقة الأوراسية من خلال توسيع النفوذ والتوغل في العمق الآسيوي، الذي يعتبر طريقًا إلى البحار الدافئة التي تعطي لروسيا الفرصة للتواجد في مناطق بعيدة عن الأجزاء المتجمّدة من المعمورة.

**الخاتمة:**

تؤكّد كل هذه المعطيات والتحليلات على أنّ أنابيب الغاز الطبيعي هي وسيلة تعتمد عليها روسيا كمتغيّر أساسي في سياستها الخارجية، خاصة تلك المتبعة مع الدول الأوراسية، منذ تولّي "فلاديمير بوتين" الحكم، وعليه يمكن استنتاج ما يلي:

1- معضلة إيجاد منافذ للاقتراب أكثر من المياه الدافئة يمكن تجاوزها بوضع حلول ذات طبيعة اقتصادية لكن بجوهر جيوبوليتيكي، وهذا ما تعمل على تجسيده روسيا على الجهتين، الغربية والشرقية، بمدّ شبكة معقّدة من خطوط أنابيب الغاز الطبيعي تربطها بدول الاتحاد الأوروبي وبمناطق من آسيا.

2- تبنّي روسيا لمثل هذه الإستراتيجية لضمان تواجدها في المياه الدافئة قد يقلّل من احتمالات الصدامات العسكرية بأوراسيا، سواء مع القوى الإقليمية أو مع قوى بعيدة جغرافيًا عن المنطقة، بحيث يمكن اعتبار مشاريع إمدادات الغاز الطبيعي كبديل استراتيجي عمّا يمكن إنفاقه عسكريًا في حال وقوع حروب بمناطق قريبة من أوراسيا.

3- مختلف حالات اللّاستقرار التي تعرفها بعض الدول المفتاحية في أوراسيا كأوكرانيا وسوريا ما هو إلّا نتيجة تصادم مصالح القوى الكبرى (روسيا ضمن هذه القوى)، التي تعتبر أي تقدّم يحرزه طرف هو بمثابة خسارة طرف آخر خاصة في مجال التحكّم في معابر نقل الغاز الطبيعي.

وكنتيجة عامة، يمكن القول أنّ خطوط أنابيب الغاز الطبيعي هي بمثابة الأذرع التي تمكّن روسيا من التموقع أكثر في أوراسيا، وتسمح لها بالاقتراب أكثر من المياه الدافئة التي تخلّصها من معضلة التواجد فقط في الأجزاء المتجمّدة، وكذلك اعتبار مشاريع خطوط الغاز الطبيعي كذريعة ووسيلة إستراتيجية للتواجد الروسي في مناطق بعيدة عن أراضيها حيث تعتقد بوجود مصالحها الجيوبوليتيكية فيها.

**الهوامش:**

1-Olivier Zajec, les secrets de la géopolitique, Perpignan-France : Édition Tempora, 2008, P.77.
2-Loc. cit.
3-Loc. cit.
4-ل. دبليو مارتن، البحر في الإستراتيجية الحديثة، ترجمة: عبد الكريم الحاج عناد، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.1، 1982، ص.18.
5-المرجع نفسه، ص.17.
6-Zajec, op.cit, P. 78.
7-عماد قدورة، "محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أوكرانيا بؤرة للصراع،" سياسات عربية، ع.9 (جويلية 2014)، ص.47.
8- فايز محمد العيسوى، الجغرافيا السياسية المعاصرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000، ص.224.
9-جيمس دورتي و روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، بيروت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط. 1، 1985، ص ص. 47، 48.
10-ألكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، ترجمة: عماد حاتم، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص. 86.
11-المرجع نفسه، ص. 89.
12-Gearóid Ó Tuathail and others, the geopolitics reader, London : Routledge, 2003, P. 27.
13-Zajec, op.cit, P. 35.
14-Ibid, P. 36.
15-زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولية الأمريكية ومتطلباتها الجيواستراتيجية، ترجمة: أمل الشرقي، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ط. 1، 1999، ص. 59.
16-المكان نفسه.
17- دوغين، مرجع سابق، ص. 401.
18- المرجع نفسه، ص. 216.
19- المرجع نفسه، ص. 217.
20- موقع شركة غازبروم:(19/10/2019 – 18:20) www.gazprom.com/projects/nord-stream/
21- المكان نفسه.
22- كمال ديب، لعنة قايين: حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سورية ولبنان، بيروت: دار الفرابي، ط. 1، 2018، ص. 168.
23- موقع شركة غازبروم:(19/10/2019- 18:45) www.gazprom.com/projects/nord-stream2/
24- موقع شركة غازبروم:(16/02/2021- 00:04) www.gazprom.com/projects/turk-stream/
25- "سيل الغاز الجنوبي يغير مجراه باتجاه تركيا،" روسيا اليوم:

/سيل-الغاز-الجنوبي-يغير-مجراه-باتجاه-تركيا- www.arabic.rt.com/news/769882
(19:30 - 19/10/2019).

26- موقع شركة غازبروم:
www.gazprom.com/projects/power-of-siberia/ ( 22:10 -19/10/2019)

27- المكان نفسه.

28- المكان نفسه.

29- إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، دراسة تحليلية مقارنة، الكويت: جامعة الكويت، ط.1، 1982، ص.54.

30- المرجع نفسه، ص. 57.

31- ديب، مرجع سابق، ص ص. 248. 49.